

## الحلقة (١٠)

### موضوع الحلقة / تفسير الآيات (١٠٧، ١٠٨، ١١٤) من سورة البقرة

يقول تبارك وتعالى { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } ١٠٧ قوله تعالى { أَلَمْ تَعْلَمْ } هذا الفعل جُزم بلم وهو مجزوم بالسكون، والاستفهام هنا للتقرير والتوقيف.

يعني هذا تقرير لبيان عظمة الله، ومن عظمته ملكه للسموات والأرض، وأنه ليس لنا من دون الله جل وعلا ولي ولا نصير، وفتحت { أَنَّ } ولم تكسر لأنها في موضع نصب، وإذا كانت في موضع نصب فهذا من مواضع فتح همزة أن، وقوله تعالى { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ } أي خلقها وله ملكها سبحانه وتعالى وسلطانه وأمره نافذ فيها، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته، والمراد أمته، هذا يجب أن يُعلم ويؤمن به العبد أن الله له ملك السموات والأرض وهي من خلقه، وهي أعظم من خلق الناس، كما قال تبارك وتعالى { خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ } وأعظم مخلوقات الله العرش، وقيل المعنى أي قل لهم يا محمد ألم تعلموا أن لله سلطان السموات.

قوله تبارك وتعالى { وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ } { مِن وَلِيٍّ } ولي هو من وَلِيْتُ أمر فلان أي قمت به، ومنه ولي العهد أي القيم بما عهد إليه من أمر المسلمين، إذن من ولي أي من قائم ومن حافظ وراع، { مِّنْ دُونِ اللَّهِ } أي سوى الله، وبعد الله، أي هل لكم بعد الله وسوى الله ولي يقوم بأمركم ويحفظكم، وأيضا نصير ينصركم ممن بغى عليكم ويرعاكم ويحوطكم.

**الآية التي بعدها رقم (١٠٨) يقول** تبارك وتعالى { أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } يقول المفسرون { أَمْ } هذه هي المنقطعة، هناك نوعان لـ { أَمْ } منقطعة ومتصلة، هذا في علم النحو، هنا " أَمْ " منقطعة بمعنى "بل" أي: "بل تريدون أن تسألوا رسولكم" ومعنى الكلام: التوبيخ، يعني "هل تريدون أن تسألوا رسولكم وتكثروا عليه المسائل، اختلف في المخاطبين بهذه الآية قيل " قريش"، وقيل "اليهود"، وقيل "جميع العرب".

وقوله تعالى { كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ } لا شك أن قوم موسى أثقلوا عليه الأسئلة وسألوه أشياء لم يكن لهم أن يسألوها، فمن سؤلهم إياه أن يريهم الله جهرة، وهذا بلا شك سؤال لا يحق لهم، وأيضا سألوا نبينا صلى الله عليه وسلم أن يأتي بالله والملائكة قبيلا، هذا سألوه المشركون ووقع منهم، وأيضا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقلب جبل الصفا ذهباً، وهذا أيضا من التعنت ومن المشقة

يريدون الإحراج، وحاشاه عليه الصلاة والسلام أن يخرج في مثل هذا بل الأمر لله.

قوله تعالى {فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} المراد بكلمة {سواء} هنا قولان :

• **القول الأول:** أنه بمعنى الوسط، يعني فقد ضل الوسط، وخير الأمور أوسطها، فهذا قول صحيح، إذن {فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} يعني فقد ضل الطريق الوسط الصحيح، وهذا القول قاله أبو عبيدة معمر بن مثنى المعروف كتابه مجاز القرآن.

• **القول الثاني:** أنه بمعنى القصد يعني فقد ضل قصد السبيل، أي فقد ضل الطريق الواضح، السواء هنا بمعنى القصد، وهذا قول الفراء، أي ذهب عن قصد الطريق وسمته وهو طريق طاعة الله جل وعلا، ولذلك يقول الحافظ بن كثير رحمه الله "أي فقد خرج عن الطريق المستقيم إلى الجهل والضلال، وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الأنبياء وأتباعهم والانقياد لهم إلى مخالفتهم وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالأسئلة التي لا يحتاجون إليها"، ولو كان السؤال فيه فائدة فمفتاح العلم السؤال، {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} أما الأسئلة التي فيها تعنت ومشقة وإحراج هذا الذي لا فائدة فيها كما قال تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ\* جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ} بسبب هذه التعنتات وهذه المشاقات لأنبيائهم ورسولهم.

وقد ذكر الحافظ بن كثير رحمه الله في موضع آخر قول الله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ} وأيضا جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم، فحرم من أجل مسأله) ولما خطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس ذات مرة فقال (أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج فحجوا) فقام رجل فقال: يا رسول الله أكل عام فسكت عليه الصلاة والسلام ولم يجبه، وقال: (أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج فحجوا) فسأل الرجل مرة أخرى وقال: أفي كل عام يا رسول الله فسكت، وفي الثالثة قال عليه الصلاة والسلام: (لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت لما استطعتم، ذروني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم كثرت مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم)، فالإنسان يحذر، نعم النبي صلى الله عليه وسلم مات والدين كمل ونعمة الله تمت، ولكن ينبغي على الإنسان أن لا يكثر من الأسئلة التي لا مصلحة فيها ولا فائدة منها، حيث جاء النهي عنها في هذه الآية الكريمة، والاستفهام هنا كما هو واضح فيه إنكار وفيه توبيخ لمن يسألون هذه الأسئلة التي لا مصلحة فيها، يقول تبارك وتعالى {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ}.

وختاما في تفسير هذه الآية ذكر المفسرون في سبب نزولها أن رافع بن خزيمة ووهب بن زيد قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إئتنا بكتاب من السماء نقرأه، وفجر لنا أنهار نتبعك، فنزلت الآية فيهم وفي غيرهم.

### تفسير الآية (١١٤) من سورة البقرة

وهي قول الله عز وجل {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}

اختلف في المراد بالمساجد هنا {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ} أولا ومن أظلم أي لا أحد أظلم، وهذا أسلوب دائما يتكرر في القرآن، أي لا أحد أظلم، ماذا عمل؟ ماذا صنع؟ أن يمنع المسلمين المؤمنين من مساجد الله تبارك وتعالى أن يذكر فيها اسمه وتعمر بطاعة الله وبذكره من صلاة وقراءة ومجالس علم وغير ذلك.

### المساجد هنا اختلف فيها فقل أن المراد بالمساجد على ثلاثة أقوال

- **القول الأول:** أن المراد المسجد الأقصى.
- **والقول الثاني:** أن المراد المسجد الحرام مسجد الكعبة.
- **والقول الثالث:** أنها المساجد عموماً وهذا هو الصحيح ولا شك أن القول الأول والثاني يدخلان في القول الثالث، المسجد الأقصى أو المسجد الحرام أو المساجد عموماً هذه الأقوال كلها صحيحة.

اختلف أيضاً من الذين منعوا مساجد الله؟ من الذين عنوا بهذه الآية؟ وهي بلا شك عامة على كل حال إلى قيام الساعة، لكن بداية من الذين نزلت فيهم؟ على قولين:

- **القول الأول:** أنهم النصارى، قاله ابن عباس وقاله أيضاً مجاهد، كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه، قال قتادة هو بخت نصر وأصحابه خرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى.

- **القول الثاني:** قال ابن زيد هم المشركون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حالوا بين رسول الله يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة هو وأصحابه، حتى نحر هديه وهادنهم وقال لهم ما كان أحد يُصد عن البيت، وقد كان الرجل يلقي قاتل أبيه وأخيه فلا يصد، قالوا لا يدخل علينا من قتل آبائنا يوم بدر وفيينا باق، فردوه عليه الصلاة والسلام، يقول ابن عباس أن قريشا منعوا النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام فأنزل الله {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} وهذه الآية تعم من منع وصد الناس عن ذكر الله وسعى في خراب بيوت الله فهو متوعد بهذه الآية العظيمة، لكن الكلام هنا فيمن نزلت فيهم أولاً:

ابن جرير الطبري رحمه الله يرجع القول الأول ويحتج في أن قريشا لم تسع في خراب الكعبة، وأنها كانت تعظمها وتحترمها وأما الروم فهم الذين سعوا في تخريب بيت المقدس هذا اختيار ابن جرير الطبري.

والحافظ ابن كثير اختار القول الثاني وهو أن الآية نزلت بداية في كفار قريش الذين منعوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم من أن يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام، يقول الحافظ ابن كثير "أنه تعالى لما وجه الدم في حق اليهود والنصارى، شرع في ذم المشركين الذين أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ومنعوه من الصلاة في المسجد الحرام" رد ابن كثير على ابن جرير "وأما اعتماده، هو يتكلم عن الطبري، أن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة، فأبي خراب أعظم مما فعلوا أخرجوا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستحوذوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشركهم كما قال تعالى {وَمَا لَهُمْ آلًا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَفَقِّهُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} وقال سبحانه {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ}.

المهم هذا ترجيح ابن كثير يقول كونهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخول المسجد الحرام هذا هو أعظم الخراب، ليس المقصود بالخراب أنهم ينقضون الأحجار ويهدمون الجدران ويوسخونها بالدنس وغير ذلك، بل هناك أعظم من الخراب وهو أن تمنع الناس من أن يدخلوا المسجد الحرام أن يؤدوا الصلاة فيه، أن يطوفوا بالكعبة، وأنكم الآن إن لم تدنسوها بالأفذار أو غير ذلك، لكنكم دنستموها بهذه الأصنام، ومعروف أن قريش جعلت حول الكعبة ثلاثمائة وستين صنماً ولما جاء عام الفتح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضربها بعصا ويقرأ الآية {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} فكانت تنهار أمامه والله أعلم كأن قول الحافظ ابن كثير هو الأقرب.

قوله تبارك وتعالى {أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ}

هذا الأسلوب يقول عنه المفسرون هو: خبر معناه الطلب، ظاهره إخبار أن الله جل وعلا يخبرنا أنه لا يدخلها هؤلاء المشركون إلا خائفين، لكن معناه الطلب، فيه أمر فيه شيء؟ ما التقدير؟ التقدير أي لا تمكثوا هؤلاء إذا قدرتم عليهم من دخولها إلا خائفين، ونستفيد نحن من ذلك أننا لا نتمكن هؤلاء المشركين من دخول مساجد الله ومنها المسجد الحرام أو المسجد النبوي، مثلاً، إلا خائفين. ولذلك لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أمر من العام القابل في سنة تسع لما حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس أن ينادى في رحاب منى ألا لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان له أجل فأجله إلى مدته، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، وبعد ذلك انقطع وما صار يدخلون كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} الآية فلا شك أن في هذه الآية فيها بيان حكم شرعي وفيها تهديد هؤلاء أن لا يقربوها وأن لا يدخلوها وأن لا يُمكنوا منها.

بعض المفسرين يذهب إلى أن في هذه الآية بشارة للمسلمين، في قوله تعالى {أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ} أنه سيظهرهم وينصرهم وتكون لهم الغلبة على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد، لأنه في فترة من الزمن ما كان لهم سلطة على مكة، حتى فتحت في عهد رسول الله في السنة

الثامنة من الهجرة، وأنه سيذل المشركين لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام أحد منهم إلا خائفا يخاف أن يؤخذ فيعاقب، أو يقتل إن لم يسلم، وقد أنجز الله هذا الوعد، وأوصى رسوله أن لا يبقى بجزيرة العرب دينان، وأن تجلى اليهود والنصارى منها إلى غير ذلك، ثم يقول بعضهم وما ذلك إلا تشريفا لبيوت الله وإعلاء لشأنها وقدرها، وهذه الآية فيها بشرى، وطمأنة، وفيها بيان أن أمر الله غالب وأن الدين سينتشر، وهذا وعد الله وهو القائل { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ }.

قوله تعالى: {أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} أخبر الله جل وعلا بأمرين هنا في حق هؤلاء الذين خربوا مساجد الله ومنعوا أن يذكر فيها اسمه ووعدوا بأمرين:

#### الأمر الأول: أن لهم في الدنيا خزي، والأمر الثاني: أن لهم في الآخرة عذاب عظيم.

- أما الأمر الأول: فلهم في الدنيا خزي، لأن الجزء من جنس العمل، فكما أنهم صدوا رسول الله وأصحابه عن المسجد الحرام صدوا عنه هم أيضا، ولم يمكنوا من دخول مكة بعد ذلك، وكما أجلوهم من مكة أيضا وأهانوهم وحصل لهم من المشقة والتعب وبذلوا رضي الله عنهم، أيضا حصل لهؤلاء المشركين من الذلة والصغار ودخلها رسول الله وأصحابه وأقاموا فيها وأعليت فيها كلمة التوحيد، وهذا نوع من الخزي الذي لحقهم، ولو حصل مثل هذا في وقتنا الحاضر، فإن هؤلاء الذين قد يمنعون الناس ويصدونهم عن ذكر الله ويسعون في خراب بيوت الله لهم خزي ولهم ذلة، كيف تكون؟ هذا أمر الله في كل زمان وفي كل مكان، أمره نافذ وأحواله وصوره متنوعة، لكن بلا شك هذا يتضمن وعيدا وتهديدا لمن تسول له نفسه أن يجروا على بيوت الله، التي هي خير البلاد وخير المواقع كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

- والأمر الثاني: أيضا لهم في الآخرة عذاب عظيم وهذا هو الوعيد الآخر على ما انتهكوا من حرمة البيت وامتهنوه، سواء كان هذا في المسجد الحرام من نصب الأصنام حوله ودعاء غير الله عنده والطواف به عريانا وغير ذلك من الأفاعيل التي يكرها الله ورسوله، وكان الحمص أهل مكة لا يطوفون، ولكن إذا جاء رجل أو امرأة إن كان يعرف أحدا من الحمص أعطاه ثوبا له فطاف به، لكن إذا لم يعرف أحدا فإنه يطوف بالبيت عريانا، وهذا بلا شك في غاية الجهل والسفول، نسأل الله العافية والحمد لله على نعمة الإسلام ونعمة الإيمان.

ختاما ثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو الله جل وعلا بدعاء عظيم نختم به هذه الحلقة رواه الإمام أحمد عن بسر بن أرطاة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو (اللَّهُمَّ أَحْسِن عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ) وهذا حديث حسن كما قال عنه الحافظ ابن كثير، وقد رواه الإمام أحمد في مسنده، وخير الدعاء كما قال العلماء ما جاء في كتاب

الله وما ثبت عن رسوله، الذي أوتي جوامع الكلم، ما علم خيرا إلا دل أمته عليه، ولا علم شرا إلا حذرهما منه، صلى الله عليه وسلم.